الرسالة

(عبرانيين ١١: ٢٤–٤٠)

يا إخوةُ بالإيمانِ موسى لمَّا كَبُرَ أبى أن يُدعى ابناً لابنةِ فِرعَون* مختاراً الشَّقاءَ مع شعبِ اللهِ على التّمتُّع الوقتيِّ بالخطيئة* ومُعتبراً عارَ المسيحِ غنًى أعظمَ من كُنوزِ مِصر. لأنَّه نظرَ إلى الثواب* وماذا أقولُ أيضاً. إنَّهُ يَضيقُ بي الوقتُ إن أخبرتُ عن جدعونَ وباراقَ وشمشون ويفتاحَ وداودَ وصموئيلَ والأنبياء* الذينَ بالإيمانِ قَهروا الممالكَ وعملوا البِرَّ ونالوا المواعِدَ وسدُّوا أفواهَ الأسود* وأطفأوا حِدَّةَ النار ونَجوا من حَدِّ السَّيفِ وتقَوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشِدَّاءَ في الحربِ وكسروا معسكراتِ الأجانب* وأخذت نساءٌ أمواتهنَّ بالقيامةِ وعُذِّبَ آخرونَ بتوتير الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليحَصلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرون ذاقوا الهُزءَ والجلدَ والقيودَ أيضاً والسِّجن* ورُجِموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا

الأيقونة العجائبية

موضوع «الأيقونة العجائبية» مُتلازم مع لاهوت الأيقونة في تقليدنا الكنسي الأرثوذكسي، وهو مألوف إلى حدّ بعيد لدى المؤمنين. لا أحد من أبناء الكنيسة يستغرب إن سمع أو قرأ عن أيقونة عجائبية للعذراء الكليّة القداسة أو لأحد قدّيسي وقدّيسات المسيح. لعلّه لأجل هذا حسنٌ أن نضيء، ولو بإيجاز، على بعض جوانب هذا الموضوع التي يطالها، غالباً بسبب العاطفة في التقوى، شيءٌ من تشويه.

العدد ١٢ / ٢٠١٦

الأحد ٢٠ آذار

الأحد الأول من الصوم

(أحد الأرثوذكسية)

تذكار شهداء دير القديس سابا

اللحن الأول

إنجيل السَحَر التاسع

نبدأ بالتعريف. في تقليدنا الكنسي الأرثوذكسي، المقصود بـ«الأيقونة العجائبية» كلّ أيقونة شُهِدَت عليها ظاهرة أو ظواهر خارقة لقوانين الطبيعة كالإشعاع بالنور، نضح الزيت أو الطيب، تَبَدُّل مؤقت أو دائم في ملامح الوجه، ذَرفُ دمعٍ أو نزف دم، وغيرها. الشرط إذاً هو أن تكون الظاهرة مشهودة، وأمكنَ التحقُّق أولاً من أنّها حدثت بالفعل وثانياً أنها لم تكن ناتجة عن التكوين المادي للأيقونة (خشبها، مواد ألوانها...) أو عن محيطها أو عن أي سبب طبيعي آخر. أما المقصود بـ«التَحَقُّق» فليس أبداً إخضاع الظاهرة للمنطق العقلي، الذي يبقى محدوداً مهما اتّسع، وبالأخصّ إزاء تجلّيات النعمة الإلهية. غاية الكنيسة من التَحَقُّق هي حماية المؤمنين من التأثيرات والانفعالات العاطفية التي قد تشوّش تُقاهُم وتشوّه إيمانهم. خلاصة التعريف إذاً أن الأيقونة العجائبية هي أيقونة كسائر الأيقونات ولكن شاء الله أن يُظهِر عليها، لسبب في علمه تعالى، بشكل حسّي مادّي شيئاً من تجلّيات نعمته التي لا تُرى ولا تُحَدّ. في هذا السياق لا بد من الإشارة إلى أنّه وإن كانت أغلب الأيقونات العجائبية المعروفة قديمة، فإن قِدَم الأيقونة ليس شرطاً. للمثال نذكر أنّه في أحد أديار الجبل المقدَّس، صيف العام ٢٠١١، ظهر نضح طيب على أيقونة للقديس يوحنا الإنجيلي جديدة لم تكن قد أُنجِزَت إلاّ قبل بضعة أشهر. وقد تكررت الظاهرة نفسها لثلاثة آحاد متتالية، وفي التوقيت نفسه.

نعود إلى مفهوم «العجائبية» في الأيقونة. حقيقة الأيقونة، أي أيقونة، تكمن في الشخص المُصَوَّر عليها.

حقيقة أيقونة العذراء مثلاً تكمن في شخص العذراء الكلّية القداسة نفسها، كذلك الأمر بالنسبة لأيقونات القديسين. في أيقونات الأحداث الخلاصية، كالميلاد أو الظهور الإلهي أو غيرهما، حقيقة الأيقونة تكمن في مفاعيل النعمة الإلهية التي حقَّقَها الحدث الخلاصي، والمستمرة منذ حدوثه. نعمة الله وبركات القديسين لا تحتاج إلى الصورة لكي تبلغ إلينا، بل هي حواسُّنا التي تحتاج إلى الصورة لكي تنقل ذهننا إلى شخص القديس وتثبّته فيه. ونعمة الروح القُدُس التي صَيَّرَت هذا الإنسان قديساً، أي صديقاً للربّ وشفيعاً لنا أمامه، هي نفسها التي يستدعيها الكاهن أثناء تكريس الأيقونة إذ يقول «تُقَدَّس هذه الأيقونة بنعمة وفعل وحلول الروح القُدُس». بمعنى آخر، متى أتينا نسجُد لأيقونة المسيح فنحن عبر الصورة نسجد له إلهاً. وبسجودنا لأيقونة العذراء الكلية القداسة أو أي من القديسين نسجد إكراماً للشخص نفسه، وعبره للروح القُدُس الذي قَدَّسه. بذا، أي فصل بين بَرَكة الأيقونة وبين نعمة الله يكون ضلالاً إن لم نقل هرطقة. نحن نقف أمام الأيقونة مُصَلّين أو مُستَمدّين البركات، ونوقّرها مؤمنين أنها «مملوءة بالنعمة والحق» لا لأنها تحوي في طبيعتها المادية مميزات ما، بل لأنها تحمل إلينا الشخص المصوَّر عليها، وتحملنا إليه. كما قُلنا أعلاه، حقيقة الأيقونة تكمن في الشخص المصور عليها، وقداستها بالتالي من قداسته.

هذا التلازم بين الصورة والشخص مسألة لا جدال فيها، في لاهوت الأيقونة عندنا. على أيقونة والدة الإله، مثلاً، لا نكتب «صورة مريم والدة الإله» بل «مريم والدة الإله». نحن لا نتبرَّك من رسم لوالدة الإله بل من شخصها المُقَدَّس، الحاضر أمامنا، بنعمة الروح القُدُس، في كل أيقونة لها. الأمر نفسه ينطبق على أيقونات الأحداث الخلاصية وسائر القديسين. من حيث طبيعتها المادية، الأيقونة خشب ومواد ألوان وغيرها من المكوِّنات الماديّة. أما من حيث علاقتها بالشخص المُصَوَّر عليها فهي حضور حقيقي للشخص الذي تُمَثّله، ولنعمة الروح القُدُس التي قَدَّسَته. الأيقونة لا تُصَوّر لنا طبيعة الشخص البشرية (لعلّه لأجل هذا سمات وتكاوين الوجه لا تهمّ) بل شخصه المُقَدَّس، أي تُصوِّره لنا بحالته المُمَجَّدة. هو حاضر أمامنا كما هو في السماء، مُمتلئاً نعمة، والبَرَكة التي ننالها من إكرام أيقونته هي تحديداً بركة هذه النعمة، عبر شخصه الممتلئ منها. من هذا المُنطَلَق، لا يَصُحُّ التمييز منهجياً بين أيقونة عجائبية وأخرى غير عجائبية. بديهي أن تشدّنا العاطفة الإيمانية، طبيعياً وبعفوية، إلى الأيقونات التي شاء الله أن تَعتَلن عليها نعمته بشكل خارق، وفي إكرامنا لها بُعدٌ إضافي هو الشكر لله على افتقاده إيانا. ولكن كلُّ أيقونة، بالنعمة التي تملأ المُصَوَّر عليها، هي بالقوة عجائبية. وإلا لكان إكرامنا للأيقونات غير المعروفة أنها عجائبية، وصلاتنا أمامها، بلا معنى. فكما أن جسد المسيح ودمه الأقدَسَين فيهما ملء المسيح نفسه، في كل إفخارستيا تُقام على الإيمان القويم، كل أيقونة لوالدة الإله أو لأي من القدّيسين فيها ملء المُصَوَّر عليها. نعمة الله لا تتجزّأ، واحدة في ملئها أينما حلَّت.

الإنجيل

(يو ١: ٤٤–٥١)

في ذلك الزمان أراد يسوعُ الخروجَ إلى الجليل فوجد فيلِبُّسَ فقال لهُ اتبعني* وكان فيلِبُّسُ من بيتَ صيدا من مدينة أندراوسَ وبطرس* فوجد فيلِبُّسُ نَثَنَائيلَ فقال لهُ إنَّ الذي كَتَبَ عنه موسى في الناموس والأنبياءِ قد وجدناهُ وهو يسوعُ ابنُ يوسف الذي من الناصرة* فقال لهُ نَثَنَائيلُ أمِنَ الناصرةِ يمكنُ أن يكونَ شيءٌ صالح* فقال لهُ فيلِبُّسُ تعالَ وانظرْ* فرأى يسوعُ نَثَنائيلَ مقبلاً إليهِ فقال عنهُ هوذا إسرائيليٌّ حقًّا لا غِشَّ فيه* فقال لهُ نَثَنائيلُ مِنْ أينَ تعرفني. أجاب يسوعُ وقال لهُ قبل أن يدعُوَك فيلِبُّسُ وأنت تحتَ التينةِ رأيتُك* أجابَ نَثَنَائيلُ وقال لهُ يا معلّمُ أنت ابنُ الله أنتَ مَلِكُ بحدِّ السيف. وساحوا في جُلودِ غنمٍ ومَعِزٍ وهم مُعوَزون مُضايَقون مجهودون* (ولم يكنِ العالم مستحقًّا لهم). وكانوا تائهين في البراري والجبال والمغاور وكهوف الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهوداً لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِد* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئاً أفضَلَ أن لا يكمُلوا بدوننا.

إسرائيل* أجابَ يسوعُ وقال لهُ لأنّي قلتُ لك إنّي رأيتُكَ تحت التينة آمنتَ. إنَّك ستُعاين أعظمَ من هذا* وقال لهُ الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم مِنَ الآن ترونَ السماءَ مفتوحةً، وملائكةَ الله يصعدون وينزِلون على ابن البشر.

تأمل

أيتها النفس المسيحية، أنت المتجنّبة الكذب لتتخذي لك مكاناً في مدرسة الحق، انتفعي إذاً بإيمان من الحكاية الإنجيليّة. تبصّري أعمال الرب المنظورة بعقلٍ روحيٍّ تارةً، وبنظرٍ جسديٍّ طوراً، تماماً كما لو كنت بصحبة الرسل. أنسبي للناسوت حقيقة أنّ الربّ قد وُلد طفلاً من امرأة، وللاهوت حقيقة أنّ بكارة أمّه لم يفضّها لا الحبلُ به ولا مولده. سلّمي بالعبودية الملفوفة بالقُمط المُضجعة في مذود (لو ٢: ٧، في ٢: ٧)، ولكن اعترفي بالربوبية التي بشّر بها الملائكة (لو ٢: ٩-١٤)، ونادت بها العناصر وسجد لها المجوس (متى ٢: ١-١١). أدركي أنّ عدم رفض وجبة العرس (يو ٢: ٢) إنّما يتعلّق بالإنسان، واقبلي أنّ تحويل الماء خمراً فيها يتعلّق بالله. أقرّي بمشاعرنا فيه عند ذرفه العبرات على صديق متوفى (يو ١١: ٣٥)، وتحقّقي من

اليوم رأس خلاصنا

«اليوم رأس خلاصنا وظهور السرّ الذي منذ الدهور، لأنَّ ابن الله يصير ابن البتول، وجبرائيل بالنعمة يبشّر، لذلك ونحن معه فلنهتف نحو والدة الإله: افرحي أيتها الممتلئة نعمة، الرب معك» (طروبارية العيد).

تعيِّد كنيستنا المقدّسة في الخامس والعشرين من آذار لبشارة سيدتنا والدة الإله بالحبل بربّنا يسوع المسيح، بواسطة الملاك جبرائيل. في هذا العيد، تلعب العذراء مريم دوراً أساسياً في الخلاص الذي حقّقه الرب يسوع المسيح. عندما قبلت مريم بشارة الملاك جبرائيل بأنها ستحبل من الروح القدس وقالت «هوذا أنا أمة للرب» (لو ١: ٣٨)، فهي أعلنت قبول الخلاص نيابة عن كل أبناء العهد القديم الذين كانوا ينتظرون خلاص الله للبشرية. لذا فإن مريم في لحظة قبولها بشارة الملاك مثّلت كل البشرية إذ صارت أمّ الحياة الجديدة، حواء الجديدة. من هذا المنطلق، أمست هذه البشارة نقطة تحوّل في حياة الإنسان إذ أمسى هذا اليوم البهج رأس خلاصنا.

بعد أن سقط الانسان وأظلم الصورة التي خُلق عليها، بسبب من حواء الأولى، اختار الله أن يتجسَّد من أحشاء البتول، حواء الجديدة، ليدعو الانسان من جديد ويفتح له المجال للعودة الى الحالة التي كان عليها من قبل. نقرأ في رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين «إذ قد اشترك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو كذلك فيهما لكي يُبطِلَ بموته مَن كان له سلطان الموت أي إبليس ويُعتِق كل الذين كانوا مدة حياتهم كلها خاضعين للعبودية مخافةً من الموت» (عب٢: ١١-١٨). يتجلّى في هذا القول الهدف الذي من أجله أراد الربّ هذا الخلاص للإنسان وهو إعادته من الموت إلى الحياة، من العبودية إلى الحريّة. يقول القديس ثيوفيلكتوس البلغاري: «يسوع هو آدم الجديد، اتّخذ الله من بطن المرأة البشريّة الزرع، ومنه يتّخذ بقوّة الروح الخالقة طبيعة آدم الثاني البشريَّة. من هذا الوصال العضوي استطاع يسوع أن يرفع الطبيعةَ البشريّة إلى العلوّ الإلهي». أمّا القديس يوحنا الذهبي الفم فيقول: «لا تطلب وصالاً طبيعياً ما دام الحدث يفوق الطبيعة. لا تطلب زواجاً ومخاضاً ما دامت طريقة الحبل تفوق الزواج. تكوين وبثّ نَفَس الحياة سرٌّ في الطبيعة». «كما أنَّك لا تدري ما هو مسلك الريح، وكيف تتكوَّن العظام في جوف الحامل؛ كذلك لا تدري عمل الله صانع كلّ شيء» (جامعة١١: ٥).

تعلّمنا الكنيسة في هذا العيد الطاعة، طاعة الإيمان. طاعة مريم جاءت من ثقتها ومن إيمانها بقدرة الله، ومن تواضعها. أَتْحَدَتْ إرادتها مع إرادة الله. خضعت لتدبيره. يقول القديس إيريناوس: «دخلت مريم طريق الطاعة ... في حين أنَّ حوّاء ذهبت إلى العصيان... ممّا قادها إلى الموت. أمّا مريم فبخضوعها لكلمة الله أصبح عندها كلّ شيء سبباً للخلاص».

هنا تسألنا الكنيسة هل نحن نحذو مثل هذا الطريق؟ هل نتواضع ونستسلم لمشيئة الله؟ هل نحن نقول في صلاتنا «لتكن مشيئتك» مسلّمين أنفسنا لمشيئة الله الكاملة كي تفعل بنا، أم نريد أن تتماشى مشيئته مع مشيئتنا بالطريقة التي

تناسبنا؟.

نقرأ في النص الانجيلي أن الملاك أُرسل إلى «عذراء مخطوبة» ولم يرسل إلى أي عذراء. ويشرح العلاّمة أوريجنّس قائلاً: «إن وجود الخطيب أو رجل مريم ينزع كل شك من جهتها عندما تظهر علامات الحمل عليها». وفي هذا السياق يقول القديس أمبروسيوس: «ربَّما لكي لا يُظنّ أنها (أي العذراء مريم) زانية. ولقد وصفها الكتاب بصفَتين في آنٍ واحد، أنَّها زوجة وعذراء. فهي عذراء لأنها لم تعرف رجلاً، وزوجة حتى تُحفظ ممّا قد يشوب سمعتها، فانتفاخ بطنها يشير إلى فقدان البتوليَّة (بحسب الناس). وقد اختار الربّ أن يشكّ البعض في نسبه الحقيقي من أن يشكُّوا في طهارة والدته. فهو لم يجد داعياً للكشف عن شخصه على حساب سمعة والدته».

في عظته حول عيد البشارة يهتف القديس يوحنا الذهبي الفم صارخاً: «السَّلام عليك أيَّتها المُنعم عليها، الربُّ معك. لم يَعُد الشيطان يقوى عليك. حيث جرَّح العدوّ، عالج الطَّبيبُ وضمَّد؛ وحيث مخارج الموت، هناك برزت مداخل الحياة. من امرأة قامت الجهالة، ومن امرأة تنبع الفضائل السامية كلّها. إفرحي أيتها المُنعَم عليها. لا تخجلي لكونكِ سبَّبت الهلاك، بل افرحي لأنَّك بدءُ الخلاص. إفرحي يا من بها يُشرق السُّرور للعالم. إفرحي لأنَّ موت الأم الأولى قد زال في حشاك. إفرحي يا هيكلًا متنفّساً لله. إفرحي يا مسكناً متوازياً للسّماء وللأرض. إفرحي يا مكاناً رحْباً للطّبيعة غير الموسوعة. بهذا ظهر الطَّبيبُ للمرضى، وشمس العدل للقابعين في الظلام، مرساة المشتّى عليهم، والمرفأ الهادئ. لقد وافى محرّر الأسرى، سند المحاربين حافظ المحبَّة والفرح الفائق الوصف، عودة السلام لليائسين. آمين».

بشارة والدة الإله

بمناسبة عيد بشارة والدة الإله تُقام خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الخميس ٢٤ آذار ٢٠١٦ وصلاة السَحَر عند التاسعة وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الأربعاء ٢٥ آذار في كنيسة بشارة السيدة في الأشرفية.

من أقوال البار بورفيريوس الرائي

مَن يتحلى بالتواضع المقدس لا يتكلم إطلاقاً، أي لا يعارض. يقبل ملاحظات الآخرين وتوبيخاتهم دون غيظ أو تبرير للذات، ولا يفقد توازنه. بينما يحدث العكس مع المغرور، الذي يملك مشاعر النقص. ففي البداية، المغرور يشابه المتواضع، ولكن إذا أزعجه أحد قليلًا، يفقد سلامه فوراً، ويتوتر ويضطرب.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

القدرة الإلهية عند إحيائه الصديق نفسه، المنتن بعد أربعة أيام في القبر، لمجرّد أمر صوته. لُصنع الطين من التراب والريق (يو ٩: ٦)، كان الجسد هو الفاعل. أمّا أن تستنير حدقتا الأعمى وقد طُليتا بهذا الطين، فلا ريب في أنّ ذلك متعلّق بتلك القدرة التي كانت قد احتفظت لإظهار مجدها بما لم تمنحه لمبادئ الطبيعة. التخفيف من تعب الجسد براحة النوم إنّما يختصّ بإنسانٍ حقيقيّ (متى ٨: ٢٤)، أمّا تسكين شدّة العواصف الهائجة بأمرٍ ناهٍ فهذا ما يختصّ بإلهٍ حقيقيّ. إطعام الجياع (مر ٨: ٢) هو فعل الطبيعة البشرية وقلبٍ يهتم بالآخر، أمّا إشباع خمسة آلاف رجل، ما عدا النساء والأولاد، من خمسة أرغفةٍ وسمكتين (متى ١٤: ١٩–٢١)، فمن سيجرؤ على الإنكار بأنّه فعلُ الآلوهيّة؟ وفي استعانتها بخدمات جسدٍ حقيقيّ معها، أظهرت هذه الألوهية أنّها كانت في الناسوت وأنّ الناسوت كان فيها. احفظوا في النفس برسوخٍ ما تقولونه في قانون الإيمان. كونوا سماويين (في ٢: ٢٠)، لا بالرجاء فحسب، بل بالسلوك أيضاً.

القديس لاون الكبير